الرسالة

(أفسس ٤: ٧-١٣)

يا إخوةُ لكلٍّ واحدٍ منَّا أُعطيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهبةِ المسيح* فلذلك يقولُ لمَّا صعِد إلى العُلى سبى سبياً وأعطى الناسَ عطايا* فكونُه صعِد هل هو إلَّا أنَّه نزَل أولًا إلى أسافِل الأرض* فذاك الذي نزَل هو الذي صعِد أيضاً فوق السمواتِ كلِّها ليَملأَ كلَّ شيءٍ* وهو قد أعطى أن يكون البعضُ رُسلًا والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرينَ والبعضُ رعاةً ومعلِّمين* لأجلِ تكميلِ القديسيَن ولعَملِ الخدمةِ وبُنيانِ جسدِ المسيح* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وِحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ إلى مقدارِ قامةِ مِلءِ المسيح.

الإنجيل

(متى ٤: ١٢-١٧)

في ذلك الزمانِ لمَّا سمعَ يسوعُ أنَّ يوحنا قد أُسلِم

القديس غريغوريوس النيصصي

نقيم في العاشر من الشهر الجاري تذكار أبينا القديس غريغوريوس أسقف نيصص. هو الابن الرابع للقديس باسيليوس والقديسة إيميليا، والأخ الأصغر للقديسَين ماكرينا والقديس باسيليوس الكبير. وُلد القديس غريغوريوس النيصصي حوالي العام ٣٣١ في قيصرية كابادوكيا. نشأ في جو من الفضيلة والتقوى في بيتِ علم وقداسة لكنه لم يلتحق، مثل شقيقه باسيليوس، بالمراكز الرئيسيّة للثقافة الهيلينيّة لمتابعة الدراسات العليا، بل اكتفى بأن يتلقى تعليمه من والده الذي كان معلّم الخطابة. بيد أنه تمكّن من استيعاب معرفة فلسفية وأدبية وعلمية واسعة بحيث أصبح واحدًا من أعظم اللاهوتيين الذين تمكنوا من تعميد الثقافة الكلاسيكية وتحويلها إلى المسيحية.

إنخرط في حياة الدنيا، وأصبح أستاذًا للخطابة وتزوج من الشابة الورعة ثيوسيبيا. لكن مَثَلَ شقيقته القديسة ماكرينا، التي أقنعت والدته وإخوته باعتناق الحياة الرهبانية، جعله ينضمّ إلى القديس باسيليوس وزميله في النسك القديس غريغوريوس اللاهوتي في خلوتهما في آنيسيس على ضفاف نهر إيريس. خَبِرَ هناك عذوبة حياة التوحّد، والصمت، مع التأملات العميقة في أسرار الكتاب المقدس والعقائد المقدسة والارتقاء نحو الله في الصلاة. وقد كلّفه القديس باسيليوس، الذي كان قد بدأ بتنظيم حياة الرهبان في كابادوكيا، بكتابة مؤلّف عن البتولية والكمال المسيحي. جاء الكتاب جذابًا بل فريدًا في تحليله لأسلوب حياة يجعل الإنسان مثل الملائكة.

العدد ٢/٢٠١٦
الأحد ١٠ كانون الثاني
الأحد بعد الظهور الإلهي
تذكار أبينا الجليل في القديسين
غريغوريوس النيصصي
والبار دومتيانوس
اللحن السابع
إنجيل السَحَر العاشر

عام ٣٧٠ أصبح باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كابادوكيا فجمع حوله الأصدقاء المخلصين لمقاومة اضطهاد فالنس (Valens) ضد المدافعين عن الأرثوذكسية وعقيدة مجمع نيقية. وانتُخب غريغوريوس، رغم مقاومته، أسقفًا على مدينة متواضعة في آسيا الصغرى هي نيصص حوالي العام ٣٧٢. لكنه سرعان ما وقع ضحية لمكائد الآريوسيين، الذين اتهموه بأمور باطلة، وجمعوا في غيابه مجمعًا وأصدروا عليه الحكم بالنفي (عام ٣٧٦). لزم الصمت حتى عاد

منتصرًا إلى نيصص بعد عامين على أثر وفاة فالنس (عام ٣٧٨). لكنه لم ينعم بالسلام سوى لوقت قليل.

في بداية العام ٣٧٩ توفي القديس باسيليوس جاعلًا إياه الوريث وخليفته في الدفاع عن الأرثوذكسية. فاضطر هو المثقف ذو النزعة الفلسفية والمقيم في هدوء النسك والصلاة أن يخرج إلى ساحة الصراع العقائدي، وسرعان ما فرض سلطته اللاهوتية على من تحدوا إيمان الكنيسة، وذلك بفضل عمق تفكيره اللاهوتي وقوة بلاغته. شارك في مجمع أنطاكية، لحل الانقسام الذي قسم الكنيسة لأكثر من خمسين عامًا، ثم ذهب في مهمة لإعادة تنظيم كنيسة البنطس وأرمينيا وانتَخَب عليها شقيقه بطرس أسقف سبسطية. كما أنه كتب سلسلة من الأعمال الجدلية ضد إفنوميوس للدفاع عن تسامي الطبيعة الإلهية عن المعرفة، وضد أبوليناريوس لإظهار أن المسيح قد اتخذ بالتجسد طبيعة الإنسان كاملةً. وشارك عام ٣٨١ في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية، الذي دحض حجج الآريوسيين ومحاربي الروح القدس، وثبّت عقيدة الثالوث القدوس، التي جاهد القديس باسيليوس من أجلها طوال حياته.

في حين أشاد به الآباء أنه «عمود الأرثوذكسية»، واعتبروه خير خلف للقديس أثناسيوس والقديس باسيليوس، حضر غريغوريوس سائر مجامع الكنسية، وأُرسل في مهمة في الجزيرة العربية وفلسطين لحل المشاكل التي قسمت هذه الكنائس. لدى عودته إلى القسطنطينية، اتخذه الإمبراطور ثيودوسيوس مرشدًا روحيًّا. حوالي العام ٣٨٦، انقطع عن كل العلاقات مع العالم لا سيما بعد وفاة القديسة ثيوسيبيا التي أضحت لسنوات عديدة أخته ورفيقته الروحية، وانصرف إلى التركيز على الحياة الروحية وإدارة الأديرة التي أسسها القديس باسيليوس.

واصل القديس غريغوريوس العمل على صوغ العقيدة الكنسية بعد وفاة شقيقه، وأكمل بعض مؤلفاته التفسيرية واللاهوتية. كما تابع النشاط الرهباني الذي أسسه القديس باسيليوس، منظمًا ومشرّعًا، عبر كتابة مقالات عن الحياة الروحية ذات عمق وجمال لا مثيل لهما كـ«المواعظ على نشيد الأنشاد»، و«حياة موسى» و«المؤسسة المسيحية». نجد فيها عرضًا وافيًا جليلًا لتعليم الكنيسة عن الحياة الروحية والخبرة المعاشة لأسرار النعمة، وأصول الرهبنة. كل هذه يعبّر عنها القديس بلغة عقائدية في غاية الدقة.

يعلّم القديس غريغوريوس أنّ الإنسان خُلق على صورة الله أي أنّه يعكس كمال الله وسيادته وحرّيته. ولكن إذْ سقط آدم وارتدى «أقمصة جلديّة»، أقمصة الموت والأهواء عبر الاستعمال الخاطئ لحرّيته، لم يتمكّن من استعادة حالته الأولى والدخول مجدّدًا في شركة مع الله. فكان تجسّد المسيح السبيل الوحيد لعودته إلى مرتبة كاهنِ الخليقة ومَلِكِها. فالإنسان حين ينغرس بالمعموديّة في جسد المسيح يمكنه أن ينمّيَ بشكل مستمرّ حضور المسيح في حياته: في نفسه عبر الفضائل المقدّسة، وفي جسده عبر الأسرار. يستطيع بالتالي أن ينمو إلى ما لا نهاية في اتّحاد بلا تشوّش مع الإله اللامتناهي رافعًا معه كلّ البشر والخليقة بأسرها وجاعلًا إيّاها كنيسة.

يقول القدّيس غريغوريوس: «هكذا انصرفَ إلى الجليلِ* وترك الناصرةَ وجاء فسكنَ في كَفْرَناحوم التي على شاطئِ البحرِ في تخومِ زبولونَ ونفتاليمَ* ليتمَّ ما قيلَ بإشعياءَ النبي القائل: أرضُ زبولونَ وأرضُ نفتاليم طريقُ البحرِ عَبْرَ الأردنِ جليلُ الأُمم* الشعبُ الجالسُ في الظلمةِ أبصرَ نوراً عظيماً والجالسون في بُقعَةِ الموتِ وظلالهِ أشرقَ عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرزُ ويقولُ: توبوا، فقدِ اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

ان التوبة الصادقة تعيد إلى المعمَّدين براءتهم السابقة. لذا أتوسّل إليكم، أنتم الذين استحقوا الموهبة الإلهيّة، أن تحترسوا فتصونوا ثوبكم الروحيّ منزّهاً عن العيب نقيًّا. أمّا نحن الذين حصلوا على هذه الموهبة في ما مضى، فلنُظهر تبدّلاً في حياتنا ملموساً. فإذا ما رغبنا في ذلك وأسهمنا فيه بمثابرتنا، يمكننا أن نعود عوداً حميداً إلى الجمال والتألّق القديمين.

وأنا إنّما أقول هذا لنفسي ولكلّ الذين

استحقّوا المعمودية قديماً. ألا ثقوا بي، أنتم يا جنود المسيح الجدد، واجتهدوا في أن تصونوا نقاوة ثوبكم بشتّى الوسائل. فمن المستحسن إذاً أن تعتنوا في الوقت الحاضر بتألّقه، وتنشغلوا بشأنه حتى يثبت دوماً في النقاوة، فلا تنال منه نجاسةٌ ما، وذلك بدلاً من أن تستسلموا لأهوائكم وتنتحبوا قارعين صدوركم بُغية اغتسالِكم من النجاسة التي حلّت بكم. أتوسّل إليكم ألاّ يحدث لكم ما حدث لنا. بل فليكن إهمال سابقيكم حافزاً لكم على الثبات.

وكجنود روحيين، متيقّظين بواسل، أعدّوا أسلحتكم الروحية كل يوم حتى إذا رأى الخصم بريق عدّتكم، يبتعد عنكم ولا يعود يُفكّر بالاقتراب منكم لدى رؤيته لمعان سلاحكم. لا بل إنّه، أكثر من ذلك، يختبئ مرتدًّا عنكم حينما يراكم متدرّعين من كل جانب، وذلك لعلمه بأنّه لن يربح شيئاً، حتى ولو عاود الكرّة ألف مرّة. إنّه بالحقيقة لوقح وسافل. لا بل هو أكثر فظاظة من أيّ حيوان آخر، وإن هو رأى عدّتكم الروحية والقوّة التي وهبكم إيّاها الروح يعي جيداً حقيقة ضعفه في أبديّة الدهر الآتي الذي لا نهاية له، كلّ مَن يركض إليكَ يصير دومًا أكبر وأعلى من نفسه، نامِيًا على الدوام في غزارة النِعَم... ولكن بما أنّ المرتَجى المطلوب لا حدود له، فإنّ الغاية التي يُعثَر عليها تصير للذين يصعدون نقطة الانطلاق لاستكشاف خيرات أسمى. والذي يصعد لا يكفّ البتّة عن الذهاب من بدء إلى بدء عبر بدايات لا نهاية لها».

ما بعد المعموديّة

ترتّل كنيستنا المقدّسة نشيد «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتُم، المسيح قد لبستم، هللويا» في عدّة محطّات من السنة الليتورجيّة: ميلاد ربّنا ومعموديّته، سبت النور، الفصح، والعنصرة؛ كما أنّه يُرتَّل في خدمة سرّ المعمودية بعد تغطيس المعمَّد، وذلك ضمن زيّاح وشموع مضاءة للدلالة على أبديّة هذا السرّ وهذه المعموديّة (إذ إنّ الزيّاح يكون على شكل دائريّ، والدائرة ترمز إلى الأبديّة) كما للدلالة على الاستنارة التي يحصل عليها المعمَّد واستعداده لأن يبقى مضيئًا كالشمعة (بوساطة نور المسيح) وذائبًا بهذا النور لكي ينير الآخرين ويوصلهم إلى نور المسيح نفسه، دون أن يفكّر هذا الإنسان بأنّه هو مصدر النور، وتاليًا يمتلئ ذهنه بالأفكار المشوَّهة التي تؤدّي به إلى الكبرياء، فالسقوط.

يرد هذا النشيد في الرسالة إلى أهل غلاطية: «إذًا، قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرّر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعدُ تحت مؤدِّب، لأنّكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنّكم كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (٣: ٢٤–٢٧). يأتي هذا الكلام ضمن الإصحاح الثالث من الرسالة إلى أهل غلاطية الذي نجد فيه جدلًا عمّا إذا كان التبرّر بالناموس أو بالإيمان، وتكون النتيجة أنّ الذي اعتمد يكون قد لبس المسيح، ومن لبس المسيح لا يعود يلتفت إلى أيّ أمرٍ جسديّ أو أرضيّ، وأيضًا مَن يكون للمسيح يصبح من نسل إبراهيم (أبي الإيمان)، لأنّ الناموس لا يلد أبناء بل عبيدًا، بينما المسيح يلد الأبناء الأحرار من كلّ القيود، لأنّ الناموس الوحيد الذي سيتبعونه هو ناموس المحبّة (الله) الذي لا يقيّد بل يحرّر.

في المعموديّة، ينزع الإنسان لباسه العتيق، أي لباس الخطيئة، ليلبس المسيح، ويقول لنا الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية: «نحن الذين متنا عن الخطيّة كيف نعيش بعدُ فيها. أم تجهلون أنّنا كلّ من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنّا معه بالمعموديّة للموت حتّى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدّة الحياة، لأنّه إن كنّا قد صرنا متّحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته، عالمين هذا أنّ إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطيّة كي لا نعود نُستعبد أيضًا للخطيّة» (٦: ٢–٦). إذًا، نفهم من كلام الرسول بولس أنّ الإنسان بعد معموديّته لا يمكنه أن يحيا كما كان قبلها.

من هنا، يتعيّن على كلّ من اعتمد أن يلبس المسيح؛ كيف يتمّ ذلك؟ علينا مثلًا ألّا نلبس المسيح فقط عندما نكون في الكنيسة أو في مجتمع كنسيّ أو مسيحيّ، ثمّ ننزعه خجلاً عندما نكون بين الأصدقاء أو في السهرات والاحتفالات العالميّة الدنيويّة لئلاّ يهزأ بنا الآخرون: «لا تضلّوا، فإنّ المعاشرات الرديّة تفسد الأخلاق الجيّدة» (١كو ١٥: ٣٣)، «فليضئ نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٦). فإذا قمنا بهذا نكون مثل بيلاطس الذي «إذ كان يريد أن يعمل للجمع

مـا يـرضـيـهـم أطـلـق لـهـم بـاراباس وأسلم يسوع» (مر ١٥: ١٥). يقول لنا الـرسـول يـعـقـوب: «أمـا تـعـلـمون أنّ محبّة العالم عداوة لله. فمن أراد أن يكون محبًّا للعالم فقد صار عدوًّا لله» (يع ٤: ٤). علينا إذًا ألاّ نساوم على محبّتنا للمسيح حتّى ولو اضطهدنا العالم، فالمسيح نفسه قال لنا: «لو كنتم من العالم لكان العالم يحبّ خاصّته ولكن لأنّكم لستم من الـعـالم بـل أنـا اخترتكم مـن الـعالم لذلك يبغضكم العالم» (يو ١٥: ١٩).

مَن يلبس المسيح عليه أن يتحلّى بصفات المسيح، وهذه نجدها في رسـالـة الـرسـول بـطـرس الـثـانـيـة: الهرب من الفساد الذي في العالم، الإيمان، الفضيلة، المعرفة، التعفّف، الصبر، الـتـقـوى، المودّة الأخـويّـة والمحبّة «لأنّ هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيّركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربّنا يسوع المسيح» (١: ٣–١٠). علاوةً على ذلك، يقول لنا الرسول بطرس أن نحتذي بالمسيح «الذي لم يفعل خطيّة ولا وُجد في فمه مكر. الذي إذ شُتِمَ لم يكن يشتم عوضًا، وإذ تألّم لم يكن يهدّد بل كان يسلّم لمن يقضي بعدل» (١بط ٢: ٢٢–٢٣).

في النهايّة، حياة المسيحيّ هي جهاد عظيم في سبيل إبقاء لباس المعموديّة ناصع البياض. وإذا حدث أن اتّسخ بأيّ نوع من أنواع الخطايا، فإنّ ربّنا أوصى الكنيسة بـ«مسحوق غسيل» (إذا صحّ التعبير) فعّال جدًّا ويعيد الحلّة البيضاء إلى بياضها الأوّل، ألا وهو سرّ التوبة والاعتراف.

عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء السبت ١٦ كانون الثاني في كنيسة أبوينا البارّين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأحد ١٧ كانون الثاني في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

صلاة لوحدة الكنائس

في مناسبة افتتاح أسبوع الصلاة من أجل وحدة الكنائس تُقام خدمة صلاة الغروب برئاسة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس عند السادسة والنصف من مساء الأحد ١٧ كانون الثاني ٢٠١٦ في كنيسة القديس نيقولاوس وذلك بمشاركة الكنائس الشقيقة ومطارنة بيروت ورعاتها وكهنة الأبرشية وأبنائها.

من أقوال القديس بورفيريوس الرائي

الفرح هو المسيح بالذات، إنه فرح يجعلك إنساناً آخر. إنه جنون روحي ولكن في المسيح، يُسكرك كالخمر الصافي، بحسب قول داوود: «مسَحتَ بالدهن رأسي وكأسك تسكرني كالخمر». الخمر الروحي هو خمر صافٍ لا غشَّ فيه، قوي جداً، وعندما تشربه يُسكِرك. هذا السكر الإلهي هو عطيَّة من الله، يُمنح «لأنقياء القلوب».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

ويـرتدّ، والخجـل يـعـلـو محياه، دائناً نفسه بنفسه، لكونه يعلم بأنه يسعى إلى تحقيق ما لا يستحقّ.

لِنمارس إذاً جميعُنا الـزُهد الـروحـيّ. فـإنّـي أتوسّل إليكم كلّكم، أولًا إلينا، نحن الذين استحقوا في ما مضى هذه العطيّة، بحيث استرددنا جمالَنا الأول وتـطّـهـرنـا مـن النجاسة التي حلّت بنا، وثانياً إليكم أنتم الذين تـنـعـمّـوا من وقت قريب بـالسـخـاء الملـكـيّ، ألا أظـهـروا حسن الـثـبـات وجليل التيقّظ كي تبقَوا دوماً في النقاوة بعيدين عـن كـل عـيب أو غضن تسبّبهما دسائس الشيطان. لنتدرّع من كل جانب كأنّه هو حاضر بالقرب منّا، ولنرمِ جانباً أسهم خبثه، فنقاومه باجتهاد أكثر واهتمام مضطرم بخلاصنا حتى نتجنّب فخاخه ونستمطر علينا، وحالُنا سالمة، النجدة العلوية. بنعمة سيّدنا يسوع المسيح ورحمته، الذي له ولأبيه ولروحه القدوس المجد والقدرة والإجلال، الآن ودائماً وإلى دهر الدهور، آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم